الفصل الثالث

التربيات الشرقية القديمة

الفصل الثالث

التربيات الشرقية القديمة

نشأت الحضارات الأولى فى الوديان الخصيبة ، وعلى ضفاف الأنهار والأمثلة على ذلك كثيرة كالحضارة الفرعونية ، والحضارة البابلية والآشورية ، والحضارة الصينية ، والحضارة الهندية . ومما هو جدير بالذكر أن معظم الحضارات القديمة كانت حضارات شرقية . ويقسم وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص٣٦) الحضارات الأولى إلى حضارات آرية كالحضارتين الهندية والفارسية ، وحضارات تورية كالحضارتين المنغولية والصينية ، وحضارات حيثية كالحضارتين البابلية والآشورية ، وحضارات حامية كالحضارتين الفرعونية والمنوية . ويلخص عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٣٢) خصائص التربية فى الحضارات الشرقية ويرى أنها « تتصف بروح المحافظة ، وتهدف إلى أن تجمع فى الفرد حياة الماضى ، وأن تنشئه على عادات فكرية وعملية كالعادات الماضية ، دون أن تقوى أية ملكة أو تغير أية عادة وفق مقتضيات الظروف الجديدة » ومعنى ذلك أن الحضارات الشرقية القديمة كانت معنية بتخليد الماضى ، وتأكيد الأوضاع القائمة ، والمحافظة على الاستقرار الاجتماعى أكثر من عنايتها بالفردية. ومن ثم كانت الجماعة ممثلة فى الدولة تهدف إلى تحقيق المثل الاجتماعية ، وتملى على الأفراد مايفكرون فيه ، ومايشعرون به ، ومايفعلونه . يقول وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص٣٧) : « لايتمثل الهدف العام للتربية الشرقية فى إعداد رجال ونساء مثاليين بل فى إعدادهم لمعرفة مكانهم فى النظام المقرر للأشياء . إنهم يعلمون معرفة مكانهم وأداء أدوارهم فيه . وبالتالى كان هناك كثير من التعاليم عن الواجبات والمسئوليات وقليل عن الحقوق والامتيازات» ويضيف « إننا نجد سمة عامة فى مختلف البرامج الشرقية للتربية تتمثل فى المحافظة على الأوضاع القائمة ، وتخليد المثل القومية ، وعدم العناية بالفردية » وفيما يلى نناقش اتجاهات بعض الحضارات الشرقية نحو التربية ، محاولين التدليل على صحة الخصائص العامة المذكورة أنفا.

١- التربية الصينية:

الصين من أقدم الأمم فى العالم ، ويرجع تاريخها إلى أكثر من أربعة آلاف سنة ق.م. ويرى بعض المؤرخين (نقلا عن سعد مرسى أحمد ، ١٩٩٢ ، ص٦٨) «أنه كان يعمر بلاد منغوليا منذ عشرين ألف سنة قبل الميلاد أقوام من البشر تشبه أدواتهم الأدوات الأزلية التى استخدمتها أوربا فى العصر الحجرى الوسيط. ويرون أن نسل هؤلاء الأقوام قد جابوا منتشرين فى سيبيريا والصين » وفى القرن السادس قبل الميلاد لخص «كنفوشيوس» فى كتاباته المثل الصينية القديمة التى اعتبرت مرشدا خلقيا للأجيال اللاحقة. ومن ثم تعتبر كتابات كنفوشيوس مصدرا أساسيا للمعرفة عن التربية الصينية القديمة . ولقد ألف كنفوشيوس خمسة كتب أو مجلدات هى سجل المراسيم ، وتحدث فيه عن أداب المناسبات ، كالزواج والمآتم والأضاحى ، ومايجب فى الحرب والتربية الخ، وكتاب التغيرات ، وتحدث فيه عما وراء الطبيعة ، وكتاب حوليات الربيع والخريف ، وتحدث فيه عن أحداث عصره ، وكتاب الشعر ، وتحدث فيه عن الحياة البشرية ومبادئ الأخلاق الفاضلة وكتاب التاريخ ، وتحدث فيه عن فضائل وجلائل أعمال الملوك السابقين ، وكل ماهو جدير بالتسجيل من حياة الماضين . ولقد استهدف كنفوشيوس إعادة بناء المجتمع وإصلاحه وفقا للمبادئ الخلقية المستوحاه من دراسته للماضى ، يقول كنفوشيوس (نقلا عن فنجان Finegan ، ١٩٥٢ ، ص٣٥١) : « أن تعرف مكانك يعين على دقة الهدف ، ودقة الهدف يؤدى إلى راحة العقل ، وراحة العقل تؤدى إلى الاستقرار ، والاستقرار يعين على التفكير فى الوسائل ، والتفكير الهادئ فى الوسائل يحقق الأهداف » ويؤكد هذا النقل رغبة كنفوشيوس فى العودة إلى الماضى ، والمحافظة على النظام الثابت للأشياء، وإعداد الفرد لشغل مكانه فى النظام الاجتماعى المحدد. وفيما يلى نناقش الاتجاهات العامة للتربية فى الصين القديمة.

أ- أهداف التربية:

استهدفت التربية الصينية القديمة المحافظة على الماضى ، والنظر بارتياب إلى كل انحراف عن عادات وتقاليد الآباء والأجداد ، وصياغة الحاضر والمستقبل على غرار

الماضى ، ومن ثم ظلت تربيتهم محصورة فى الكلاسيكيات القديمة. يقول عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٣٣) : « إن الحياة الرئيسية والسكون المطلق والجمود هى الصفات التى تميز هذا الشعب منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، فكل شئ لديه محدد بالتقاليد الموروثة » ومن ثم تمثلت عقيدتهم فى عبادة الأسلاف ، وفضيلتهم فى تبجيل الأجداد ورعاية عاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم . ومعنى ذلك أن الحقيقة فى رأيهم هى ما إتفق عليه الأسلاف ، والفضيلة هى السلوك بمقتضى تلك الحقيقة . ونظرا لأن عقيدتهم تمثلت فى عبادة الأسلاف ، كانت تربيتهم معنية بتدريب أطفالهم على نمط الحياة الذى يحظى بقبول الأسلاف ويوافق معارفهم القديمة ، وقواعدهم التقليدية ، وحكمتهم المتراكمة عبر العصور الماضية .

ب- أنواع التربية :

قدمت التربية الصينية القديمة أنواعا من التدريب المهنى والمدنى والعسكرى والخلقى . وكان من التدريب الخلقى تدريبا على العادات والتقاليد وماينبغى مراعاته من واجبات ومسئوليات ، ومن الأفضل أن نستخدم مصطلح التدريب المدنى أو الاجتماعى فى وصف التربية الخلقية لأنها لم تكن معنية بما ينبغى أو بما لاينبغى بالمعنى العام ، وإنما كانت معنية بهذه الأمور من وجهة نظر اجتماعية معينة . ولم تقدم التربية الصينية تدريبات بدنية متقدمة لأن الصينيين القدماء إهتموا بالسلم أكثر من اهتمامهم بالحرب ، وفضلوا العقل السليم على الجسم السليم .

جـ- محتوى التربية :

كانت فلسفة كنفوشيوس وتعاليمه الخلقية أساسا للتعليم الصينى القديم. وكانت الكنفوشية فلسفة خلقية ، ومدنية ، واجتماعية ، تدرس فى البيت والمدرسة على السواء . والكنفوشية تدور حول طائفة من العلاقات والواجبات الإنسانية . يقول كنفوشيوس (نقلا عن فنجان Finegan ، ١٩٥٢ ، ص٣٥٢): « هناك خمسة أشياء تهم الإنسان فى المجتمع العظيم ، وثلاث وسائل لتحقيقها هى : العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، والعلاقة بين الزوج والزوجة والعلاقة بين الأب والابن ، والعلاقة بين

الكبير والصغير ، والعلاقة بين الصديق والصديق . أما الوسائل التى تستخدم فى تحقيقها فهى المعرفة ، والاتجاه الإنسانى ، والشجاعة» ولقد أكد كنفوشيوس أهمية الخضوع ، والمسايرة ، والنظام ، والواجب، والعدالة ، والاخلاص ، والنقاء ، والحكمة ، والقدوة الصالحة . ولعل هذا يبدو على أفضل نحو من النقل الطويل الذى أورده ديورانت عن كنفوشيوس فى كتابه « قصة الحضارة» ، ١٩٤٩ . والكنفوشية فلسفة طبقية ، لأنها ترى أن الناس مختلفون ، ويشغلون مراكز متفاوته ، ويقومون بوظائف متباينة . يقول كنفوشيوس (نقلا عن ويدجرى ، ١٩٧٢ ، ص٢٣) : « الصغير يخدم الكبير، والوضيع يخدم الرفيع ، والحقير يخدم الشريف ـ وتلك هى قاعدة العالم السارية.» إن كثيرا من تعاليم كنفوشيوس لم يكن جديدا وإنما كانت إعادة صياغة للأفكار التى نمت فى عصور سابقة عليه وبخاصة الفلسفة التاوية التى نماها «تو» Tao وأخذها عنه كنفوشيوس . والحق أن كنفوشيوس لم يدع أنه جاء بجديد ، وإنما نظر إلى نفسه باعتباره حافظا للحقيقة القديمة. ومما هو جدير بالذكر أن أعمال كنفوشيوس كانت مرشدا للسلوك فى الصين القديمة ، وكان الإلمام بتعاليمه شرطا ضروريا لشغل الوظائف الرسمية فى الدولة .

د- المؤسسات التربوية والتنظيمات التعليمية:

نظرا لأن معظم تعاليم كنفوشيوس تدور حول الواجبات ، والمسئوليات ، والعلاقات الاجتماعية ، كانت الأسرة مركزا للتربية الخلقية ، وتبصير الأطفال بمكانهم فى النظام الاجتماعى ، وتدريبهم على أداء أدوارهم المختلفة . وبالرغم من انتشار المدارس فى بلاد الصين ، ظلت الأسرة مؤسسة للتدريب العملى للأطفال كما كان عليه الحال فى العصور البدائية . يقول عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٣٤):«غدت الصين أغنى بلاد العالم بالمدارس، فلاتجد قرية حقيرة محرومة من مدرسة» . ويذهب سعد مرسى أحمد (١٩٩٢، ص ص٧٤ـ٧٥) إلى عدم وجود مدارس حكومية أو نظام قومى للتعليم ، وبالتالى كانت المدارس خاصة لايتعلم فيها إلا أبناء القادرين . أما الفقراء فلم تتح لهم فرصة التعليم . وكانت المدارس تقام فى كوخ أو سقيفة أو فى بيوت المدرسين أو فى المعابد. ولم تكن هناك مدارس للبنات .

ويـذهب وايـلـدز Wilds(١٩٤٤ ، ص٤٤) إلى أن المـدارس فى الصـين لم تـعد الناشـئة لممارسـة الأعمال والمهـن دائما كانـت تساعدهـم على اجتـياز الامتحـانات العامة، التى تؤدى إلى الوظائف الحكومية.

وكان الأطفال يذهبـون إلى المدرسة فى سن السابعة ويخضـعون لنظام صارم، إذ تبدأ الدراسة مع مطلـع الشمس ، وتستمر حتى المغيب ، ويمنـح التلاميذ ساعة خلال هذه الفترة يتـناولون فيها طعامهم . ويذكر سـعد مرسى أحمد (١٩٩٢ ، ص٧٥) أن التلاميذ كانوا يتمون دراستهم الابتدائية فى مدة تتراوح مابين ثلاث وخمس سنوات، ويلى هذه المرحـلة التعليم الثانـوى ثم العالى ، وفيهما يـتعلم الطلبة نفـس الكتابات الفلسفـية والدينية ، ولكن باستـزادات وشروح. «ويتمرن الطلاب على كتـابة الشعر والمقالات عـلى النمط الذى سـار عليه أجدادهم » وفـى الكليات يـتبحر الطلـبة فى الدراسات الكلاسيكية . وكان التعليم العالى مرسوما بسلسلة طويلة من الامتحانات تعقدها لجنـة من كبار العلماء تحت إشراف الحـكومة، ويحصل الناجحون فـيها على درجات علمية كالماچستير والدكتوراه ، التى تـتيح للطالب الحصول على وظيفة عامة فى الدولة . وكـانت هذه الامتحانـات تعقد على ثلاثـة مستويات هى مـستوى الحى المحلـى ومستوى المـقاطعـة ومستوى الـعاصمـة ، ولقد فصـل عبد الـله عبد الـدايم (١٩٧٨ ، ص ص ٣٥ـ ٣٦) وسـعـد مـرسـى أحـمـد (١٩٩٢ ، ص٧٦) نـظـام الامتحانات فـى الصين القديمة ، ومواعـيدها ، والأماكن التى تعقـد فيها والمجالات التى تمتحن الطالب فيها.

هـ- طرق التعليم:

كان كنفوشيـوس نفسه معلما عظيما لايـختلف عن سقراط فى طرقه التـعليمية . لقد استـطاع أن يجذب إليه الـكثير من التـلاميذ الراغبيـن فى الأخذ عنه ، ويربـطهم برباط الـولاء لشخصه . ويذكـر سعد مرسى أحـمد (١٩٩٢ ، ص ص٧٠ـ ٧١) أنه «تخرج على يديه ثلاثة آلاف ممن تولوا مناصب عليا فى أجزاء متفرقة من العالم .... ومات كنفوشـيوس فى الثانية والسبعـين من عمره .... وبكاه تلاميـذه وهم يودعونه فى قبره، وأقاموا حول القبر ثلاث سنوات يـذرفون الدمع على أستاذهم » ويقول عنه

تلاميذه (نقلا عن سعد مرسى أحمد ، ١٩٩٢ ، ص٧٠) : « إنه كان مبرأ من أربعة عيوب : فكان لايجادل وفى عقله حكم سابق مقرر ، ولايتحكم فى الناس ويفرض عليهم عقائده ، ولم يكن عنيدا ، ولاأنانيا». لقد احترم كنفوشيوس تلاميذه ، وراعى الفروق الفردية بينهم ، وجعل تعليمه مناسبا لمستوياتهم ، ونوع من طرق تعليمه. وبعد وفاته غلبت الشكلية ، وطرق الحفظ والاستظهار على التربية الصينية ، إذ استخدمت الطريقة الجهرية فى تعلم اللغة الصينية . فالطفل كان يقرأ الأبجدية الصينية من كتاب بصوت مرتفع حتى يحفظها عن ظهر قلب ، ثم يسلم الكتاب إلى المعلم ، ويدير ظهره، ويعيد ماحفظه . وفيما بعد يحاول الطفل كتابة الحروف من الذاكرة ، على الرغم من أن اللغة الصينية القديمة لم تتألف من حروف ، بل من أشكال ورسوم معقدة . وفى المراحل التعليمية الأعلى قدمت للطلبة شروح وتفاسير للنصوص المقدسة ، وطلب إليهم تقليدها فى مقالتهم . وكلما كانت المقالة قريبة من الأصل فى شكلها وبنائها وأفكارها كانت أفضل ، وحظيت بالمدح . وهكذا أعانت طرق الحفظ ، والاستظهار ، والتقليد ، على تقوية الذاكرة ، وتحقيق المسايرة ، وحالت دون المبادأة ، والإبداع ، والاختلاف، والتفرد.

٢- التربية الهندية القديمة:

ظهرت فى الهند حضارة قديمة عاصرت الحضارة السومرية فى وادى الرافدين ، والحضارة الفرعونية فى وادى نهر النيل ، ويذكر هيجل (١٩٨١) أن التاريخ الهندى يمتد فى الماضى إلى عام ٢٢٠٠ ق. م تقريبا. ويذكر محمد اسماعيل الندوى (١٩٧٠) أن الحضارة الهندية القديمة تركزت فى مدينتين هما موهنجودارو وهاربا . وكانت ملامح الحياة فى هاتين المدينتين متشابهة ، وطرق الحياة فيهما متماثلة . إذ كانت الزراعة والتجارة وصناعة الأوانى الفخارية هى عماد الثروة فى المدينتين . ويذكر فنجان Finegan (١٩٥٢ ، ص ص١٢٤ـ ١٢٥) أن سكان المدينتين اشتغلوا بزراعة القمح والشعير والبلح ، واستأنسوا الثيران صغيرة القرون وذات السنام ، والجاموس ، والفيلة ، والجمال ، والخراف ، والخنازير ، والكلاب . واستخدموا النحاس والبرونز فى صناعة الأدوات المنزلية ، والذهب والفضة للزينة ، وتقدموا فى

فن النحت وصناعة الأختام . ويذهب كوسامبى Kosambi (١٩٧٠ ، ص ص٦٣-٦٤) إلى أن أهم ملامح الثقافة والمدنية فى الهند القديمة تتمثل فى الافتقار إلى التغير العظيم . فالمدينتان العظيمتان تماثلتا فى تخطيطهما ، ولم يتغيرا منذ إنشائهما ، ولم تختلف أنشطة السكان فيهما على إمتداد تاريخهما ويؤكد كوسامبى (ص١٦) أن هذه الخاصية ماتزال موجودة فى الهند حتى الآن . ولعل ذلك يبدو من قوله : « إن المتتبع لحياة القرويين فى الهند القديمة يجد أنهم يهتمون بالتغيرات الفصلية ، ولكنهم لايتغيرون . وإذا ظهر فلاح يرجع إلى ١٥٠٠ ق.م فى الهند الآن ، فلن يلاحظ تغيرا أو شيئا يلفت النظر . فهم يستخدمون نفس الآلات ، ويعتمدون على نفس الطرق». ويذهب كوسامبى (ص٦٤) إلى أن البيوت الحديثة تقام فى الهند على نفس أساس البيوت القديمة دون تغير كبير فى مساحة الحجرات أو فى شكلها . ويستخدم فى بناء البيوت الحديثة بعض المواد والأخشاب والأحجار التى كانت مستخدمة فى البيوت القديمة.

ولقد سكن الدراوديون (وهم السكان الأصليون) السهول الواقعة شرق الخليج العربى حتى خليج البنغال ، وكانوا سودا أو سمرا حسب موقعهم من خط الاستواء. وظل السكان الأصليون يسيطرون على تلك السهول حتى غزاهم الآريون من الشمال . وكان الآريون أمة بدوية ترعى الأغنام والأبقار فى موطنهم الأصلى شمال البحر الأسود وجنوب بحر قزوين ، ويستخدمون الخيول فى تنقلهم، والحديد فى صناعة أسلحتهم . ولقد اندمج الآريون مع أصحاب البلاد الأصليين وكونوا حضارة آرية دراودية . وكانت كلمة آرى تعنى الشريف ، لأن الآريين كانوا يعتبرون أنفسهم أسيادا والأقوام التى غزوها عبيدا . يقول كوسامبى Kosambi (١٩٧٠ ، ص٧٦) «كلمة آرى تعنى الحر أو النبيل . وكان الآريون يعملون بالزراعة والرعى ويحيون حياة بدوية ، ويركبون الخيول ويستخدمونها فى أعمال الزراعة ». والخاصية الأساسية للمجتمع الهندى منذ أقدم التاريخ حتى الآن هى الطبقية . فلقد انقسم المجتمع الهندى القديم إلى أربع طبقات هى طبقة البراهمة أو طبقة الكهنة ، وطبقة المحاربين، وطبقة التجار والفلاحين ، وطبقة المنبوذين . ولم يكن أعضاء تلك

الطبقات متساويين أمام القانون ، بل كانت العقوبات تتناسب مع الوضع الطبقى للفرد . وكان لكل طبقة حقوقها وواجباتها الطبقية ، ولايسمح بالانتقال من طبقة اجتماعية إلى طبقة أخرى. وتولت الأساطير القديمة تبرير التفاوت الطبقى ، فالطبقة العليا خرجت من فم الإله براهما والطبقة الدنيا انحدرت من قدميه . وكانت مكانة النساء متدنية فى الهند القديمة ، ويذكر هيجل (١٩٨١) أن المرأة اعتبرت رمزا للذنب فى حياة سابقة ، وأن الأرواح المذنبة تعاقب بأن تتجسد فى صورة امرأة . وكانت النساء تتعرض للوأد ، ولم يكن لهن أهلية دينية ، ولم يسمح لهن بقراءة الكتب المقدسة ، واعتبرن مسئولات عن موت أزواجهن ، ولذلك كن يحرقن بعد وفاة أزواجهن أو أولادهن. ومعنى ذلك أن الحياة الإنسانية عند الهنود لم تكن محترمة . وفيما يلى نناقش الاتجاهات والممارسات التربوية فى الهند القديمة .

أ- أهداف التربية:

نظرا لاهتمام الهنود القدماء بالحياة الأخرى وعنايتهم بالتجارب الروحية والمجاهدات النفسية قل اهتمامهم بأنشطة الحياة المادية . ونظرا لإيمانهم بعقيدة التناسخ التى تنتقل الروح بمقتضاها من جسد إلى جسد آخر ، وتكون سعيدة أو شقية وفقا لأعمالها فى الحياة السابقة كان تحجر طبقاتهم الاجتماعية . فكما أن الروح لا يمكن أن تنتقل من حياة إلى حياة مختلفة لايستطيع الفرد أن ينتقل من طبقة أدنى إلى طبقة أعلى . ومن ثم إهتمت التربية بتحقيق هدفين هما (١)الإعداد للحياة الأخرى ومساعدة الفرد على الذوبان فى المطلق أو روح العالم، (٢) والمحافظة على النظام الطبقى. وهكذا عنى النظام التعليمى بتنمية الاتجاهات الوجدانية والدينية ، والبلوغ بالفرد إلى حالة النرفانا أو الذوبان فى المطلق ، ولم يعن بالتنمية العقلية إلا لطبقة الكهنة . ولم تحتج تلك الطبقة سوى القدرة على قراءة الأناشيد الدينية وإقامة الصلوات . ومن ثم كان البراهمة فقط هم الذين يتلقون تدريبا عقليا. وكان متوقعا من الطبقات الأخرى أن تطيع طبقة الكهنة . ونظرا لأن مصالح الكهنة كانت مرتبطة بالأوضاع الراهنة فقد قاوموا التغير وحافظوا على التقاليد الطبقية التى تقرر مكانتهم الاجتماعية ، وحاربوا جميع الإتجاهات الديمقراطية منذ بوذا حتى غاندى.

ب- أنواع التربية:

تألف محتوى تربية البراهمة من مجموعة من الكتابات المقدسة التى ألفها رجال الدين فى الألف الأول قبل الميلاد وعرفت باسم الفيدا . والفيدا مجموعة من الكتب الدينية القديمة والمعارف الفلسفية والتقاليد والعادات الاجتماعية . ولقد درست هذه الكتب للبراهمة الذين اشتغلوا بوظيفة التعليم دون تبرير لمحتوياتها أو لأسباب تعليمها لأبناء الطبقات الأخرى . ولقد اهتم قدماء الهنود بالعلم الرياضى والطب والنحو والبلاغة ولكنهم لم ينموا هذه العلوم . ولم يعلم الهنود أبناءهم قيما إيجابية كالمسئولية الشخصية والاعتماد على النفس وإنما علموهم قيما سلبية كالصبر واللطف والاهتمام بالحياة الأخرى . ويبين عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص ص٢٦ـ ٢٧) النتائج التربوية التى ترتبت على هذه الأنواع من التربية حيث يقول : «فعلى حين نرى فى مجتمعاتنا الحديثة أن المثل الأعلى هو تحرير الفرد إلى أكبر حد ممكن ، وتكوين الشخصية الإنسانية الحرة الواعية لذاتها، كان الكهان الهنود يجهدون فى أن يقتلوا كل حرية فردية وكل استعداد فردى بما يلقنونه من مذاهب التقشف والعزوف عن الحياة وازدرائها . وهكذا كان الإنسان يولد عبدا مضاعفا : عبدا بفعل طبقته التى كانت تفرض عليه البقاء على ماكان عليه آباؤه وأجداده ، وعبدا بفعل هذه الصلة الصوفية بينه وبين الذات الإلهية التى كانت تمتص كل نشاط فعلى ولاتبقى للكائنات البشرية إلا رواء خادعا واهيا». وكان هناك تعليما مناسبا لكل طبقة اجتماعية . فأبناء الجنود يعدون ليكونوا جنودا ، وأبناء الفلاحين يعدون ليكونوا فلاحين وهكذا.

جـ- المؤسسات والتنظيمات التعليمية:

كانت الأسرة من أهم المؤسسات التعليمية فى الهند القديمة. وبالرغم من وجود بعض المدارس الابتدائية إلا أنها كانت ساذجة . وكان الطفل يلتحق بالمدرسة فى سن السابعة ويقوم البراهمة على أمر تعليمه ويتلقون أجورهم من هيئات خيرية . وكانت مكانة المعلمين مرتفعة لأنهم جاءوا من الطبقة العليا فى المجتمع الهندى وكانت

المدارس تعقد فى أى مكان فى بيت المعلم أو فى المعبد أو فى أى مكان آخر . وكانت الكليات مفتوحة للبراهمة فقط وفيما بعد سمح لأبناء الطبقات الأخرى بالالتحاق بها. وقام المنشدون والمعلمون المتنقلون بوظيفة تعليمية وتثقيفية فى الهند القديمة . وكان بوذا نفسه معلما ينتقل من قرية إلى أخرى يعلم طريقته الصوفية للناس.

د- طرق التعليم:

كانت طريقتا الحفظ والتقليد من أهم طرق التعلم والتعليم فى الهند القديمة. وكانت الكتابات المقدسة تصاغ فى قالب شعرى تيسيرا لحفظها . وكان التلاميذ يستظهرون دروسهم مرات ومرات حتى يحفظوها دون خطأ واحد. وعن طريق تقليد المعلمين تعلم الطلبة الخط والكتابة . وكانوا يكتبون على الرمال أو على سعف النخيل . وكان متوقعا من المعلمين أن يكونوا علاقات طيبة مع التلاميذ ، ويعاملوهم على مستوى شخصى حميم .

٣- التربية الفرعونية:

ترجع الحضارة المصرية القديمة إلى العصر الحجرى القديم حيث كان الصيادون وجامعوا الغذاء يعيشون فى شمال أفريقيا بعد العصر الجليدى . وحينما توقفت الأمطار عن الهطول على شمال أفريقيا جفت الهضبة الأفريقية الشمالية وتحولت إلى صحراء. وقد هيأ وادى النيل مقاما طيبا لصيادى العصر الحجرى القديم ، مما جعلهم يتركون موطنهم الأصلى ويستقرون على امتداد النيل. وكان هذا الوادى العظيم وطنا أمنا ، إذ كانت الصحارى تحميه من الجانبين ، ولم تصل إليه الثلوج وموجات البرد الشديدة التى عرفها الصيادون فى شمال البحر الأبيض المتوسط. وفى كل صيف كانت الأمطار تسقط بغزارة على النيل الأعلى وتجرف كميات كبيرة من الطمى تنتشر على جانبى النهر مؤلفة طبقة سميكة هى وادى النيل. وكان وادى النيل مليئا بالأحراش والمستنقعات ، وأصبح ملجأ لأسراب من الطيور وأفراس النهر والآرام والمعز . ولم يكن فى وادى النيل متسع كبير تمرح فيه الحيوانات كما كانت تفعل فى أوربا ، أو فى الهضبة الأفريقية الشمالية لأن وادى النيل كان مجرد مجرى مائى

لايزيد اتساعه فى أى مكان عن خمسين كم. وتحف به صخور متفاوته الأرتفاع فيما يقول برستد (١٩٦٩ ، ص٣٤) ولقد أعانت هذه الظروف على توفير مصدر دائم للغذاء ، إذ استطاع الصيادون دفع الحيوانات بين صخور الوادى واصطيادها . ولقد استطاع سكان النيل استئناس الحيوانات واستخدامها لاشباع حاجاتهم المختلفة . يقول برستد (١٩٦٩ ، ص٤٠) « عرف المصريون تربية أنواع ممتازة من الماشية منذ تاريخ مبكر جدا ، وكانوا يحافظون على فصيلة الماشية عديمة القرون ... أو على الأقل يعملون على ابقاء نسلها » وعرف المصريون الزراعة وفكروا فى تخزينها واستخدامها فى كل الفصول. يقول هردوت (١٩٦٦ ، ص٨٨) : « عندما يفيض النهر عندهم من تلقاء نفسه ، ويروى الحقول ، ثم ينحسر ثانية بعد ريها ، هنالك يلقى كل منهم بالبذور فى حقله ، ويطلق فيها الخنازير ، وعندما تدوس هذه البذور وتغرسها ، ينتظر بعدئذ موسم الحصاد ، وهناك يدرس القمح بوساطة الخنازير، ثم يحمل بعد ذلك إلى الدار». ويقول برستيد (١٩٦٩، ص ص ٣٧ـ ٣٩) « عثر فى الفيوم غرب وادى النيل على ٦٣ حفرة من المحتمل أنها حفرت لتخزين الغلال. وكانت هذه الحفر مطلية بالطين ومغلفة بالقش ، وعثر فيها على كميات صغيرة من القمح والشعير وبعض الأدوات التى كانت تستعمل فى الحصاد » وهكذا عرف سكان الوادى كيف يزرعون ، ويخزنون الغلال ، ويربون الحيوانات ويحسنون سلالاتها. وبالتالى أصبحوا منتجين للغذاء بدلا من الانتصار على التقاطه وجمعه . واستطاع سكان الوادى بناء منازلهم من الغاب الذى كان ينمو فى المستنقعات على إمتداد النيل ، وصناعة ملابسهم من النباتات البرية كالكتان الذى غزل فى خيوط تم نسجها وصناعة الأقمشة منها. يقول سعد مرسى (١٩٩٢، ص٩١) : « عرف المصريون الزراعة فى بداية العصور التاريخية، ونظموا أساليب الرى ، وقطعوا الغابات ، وتخلصوا من أفراس النهر وتماسيحه ، وصنعوا ملابسهم من الكتان ». وكان المصريون يصنعون أدواتهم وأسلحتهم من الحجر . وبالرغم من اكتشافهم للمعادن كالنحاس فقد استخدم فى الزينة . يقول برستد (١٩٦٩ ، ص٤٠): « لم يعرف المصريون قيمة المعادن إلا بعد عدة قرون ... ولم يتم استعمال النحاس فى صناعة الأدوات والأسلحة إلا بعد ٢٠٠٠ سنة من اكتشافه ».

ويقسم التاريخ المصرى القديم إلى ثلاث دول أو ممالك هى المملكة القديمة وتمتد من الأسرة الأولى إلى الأسرة الحادية عشرة ، والمملكة الوسطى وتمتد من الأسرة الثانية عشرة إلى الأسرة السابعة عشرة ، والمملكة الحديثة وتمتد من الأسرة الثامنة عشرة إلى الأسرة الحادية والثلاثين. ولقد عاش المصريون على ضفاف نهر النيل فى جماعات أو قرى . يقول برستد (١٩٦٩ ، ص٤٢) : « لقد اكتشف رجال الآثار بقايا قليلة لقرى صغيرة كانت تقام على أرض مرتفعة عن مستوى فيضان النيل ». وكان لكل جماعة أو قرية قائد أو رئيس أو زعيم . ويمكن أن نتصور أن بعضا من هؤلاء القادة استطاعوا فرض سلطانهم على الزعماء الآخرين وتحكموا فى مساحات أكبر من الأرض، وبالتالى أصبحوا ملوكا ، وألفوا الممالك المصرية القديمة . ولقد نشأت بالفعل مملكتان عظيمتان فى مصر هما مملكة مصر العليا ومملكة مصر الدنيا . يقول سعد مرسى أحمد (١٩٩٢ ، ص٩٢) : « تكونت مملكتان إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب . ويعزى إلى مينا ـ وهو شخصية مازال الغموض يحيطها ـ أنه وحد القطرين». ويقول برستد (١٩٦٩ ، ص ص٦٩ـ٧٠) : « وفى القرن الثالث والأربعين قبل الميلاد قام ملك من ملوك الوجه البحرى لا نعرف اسمه وغزا الوجه القبلى وانتصر عليه ، وألف أول مملكة تجمع بين شمال الوادى وجنوبه»، وبعد هذا الإتحاد زادت الثروة الزراعية نتيجة لاستصلاح الأراضى وتنظيم مياه النيل واختراع المحراث . وكان لزيادة الثروة أثر فى تقدم الحضارة المصرية إذ أعانت على تأليف حكومة قوية عنيت بزيادة الأراضى الصالحة للزراعة ، وحفر الترع والقنوات ، وبناء الأهرامات ، وحماية البلاد ضد الطامعين فيها من الشرق والغرب . ولقد اشتهر المصريون ببناء الأهرامات لاعتقادات دينية مفادها أن الروح تعود إلى البدن بعد الموت . واستلزم هذا المحافظة على البدن من التلف والفساد ، واستلزم المحافظة على جثث الموتى تحنيطها ، واستلزم التحنيط تقدم المصريين فى الكيمياء ، كما استلزم بناء الأهرامات تقدمهم فى الميكانيكا والهندسة ، وهكذا كان اعتقاد المصريين فى البعث مدعاة إلى تقدمهم فى جميع الفنون . ولقد عرف المصريون القدماء الكتابة فى الألف الرابع قبل الميلاد. وكان لهم ثلاثة أنواع من الكتابة هى الكتابة الهيراطيقية وهى تماثل

خط اليد ، والكتابة الهيروغليفية وهى تماثل حروف الطباعة ، والكتابة الديموطقية وهى أسرع وأكثر اختصارا. وكان المصريون يكتبون من اليمين إلى اليسار ومن أعلى إلى أسفل. ولم تكن الكتابة منتشرة بين الناس وإنما كانت وقفا على المعابد وعلى البلاط. ولقد عرف المصريون كثيرا من العلوم كالطب والهندسة والعمارة والحساب وغيرها. يقول سعد مرسى (١٩٩٢ ، ص ص١٠٨ ـ ١٠٩) « نبغ المصريون فى الطب وتخصصوا فى جوانب الجسم المختلفة ، أطباء العيون ، وأطباء الأسنان، وأطباء الولادة والجراحة الخ ». ويقول برستد (١٩٦٩ ، ص١٢١) : « اكتشفت برديات تحمل رسائل طبية ودراسات فى الجراحة ، وقواعد الحساب والجبر والهندسة، والفلك وحركات الكواكب ». ولقد ظلت مصر قرابة ألف عام يسودها نظام حكومى وطنى يمثله الفراعنة حتى ظهرت مواطن ضعفه للأجانب فغزاهم الأسيويون من الشرق والليبيون من الغرب واستطاع أمنمحات الأول إعادة الاتزان والحكم بالعدل بين الناس ، ولكنه لم يستطع إخضاع الأمراء الإقطاعيين. وفى عام ١٨٠٠ تضاءل نفوذ الملوك وغزاهم الهكسوس واستطاع رمسيس الأول القضاء عليهم ، وأعاد تنظيم الحكومة وجعل طيبة عاصمة لملكه ، واستطاع رمسيس الثانى توسيع ممتلكات مصر بحيث اشتملت على العراق وجنوب بلاد العرب والصومال. وحينما بلغت حتشبسوت إلى الحكم حرصت على تحسين العلاقات التجارية مع جيرانها وشيدت أسطولا تجاريا عظيما ، وتدفقت الأموال على مصر فأعانت على تحقيق الرفاهية ، وعظمة البناء والحضارة ، فأقيمت المعابد والمسلات ، وظهرت الاتجاهات الدينية التوحيدية على يد أخناتون . غير أن الكهنة لم يوافقوا على عقيدة أخناتون فاستعانوا برجال الجيش للقضاء على العقيدة الجديدة وعمت الفوضى فى مصر وفى ممتلكاتها فغزا الحيثيون ممتلكاتها فى سوريا ـ وغزا العبرانيون فلسطين . ومما عجل بسقوط الامبراطورية المصرية فيما يقول برستد (١٩٦٩) اعتماد الملوك على جنود مرتزقة من شمال البحر المتوسط فتعاونوا مع شعوب البحر المتوسط وتدفقوا فى جماعات إلى مصر وسقطت مصر فى أيدى اليونان والرومان ، وفيما يلى نناقش الاتجاهات والممارسات التربوية فى مصر القديمة بصفة عامة.

يكشف التاريخ المصرى القديم على نحو واضح تطور الحياة الاجتماعية والخلقية والدينية والعلمية والصناعية للإنسان المصرى القديم. ويبدو من الآداب المكتشفة على جدران المعابد والأهرامات عن تكوين المؤسسات الأساسية كالأسرة والطبقات الاجتماعية والحكومات والتنظيمات الإنتاجية والصناعية. ومعنى ذلك أن المجتمع المصرى القديم كان مجتمعا معقدا، وبالتالى لم يكن ممكنا ترك الأطفال يتعلمون من الحياة وكان لابد من وجود نظام تعليمى معقد. يقول سعد مرسى أحمد (١٩٩٢ ، ص١٠٣) : كان المجتمع المصرى القديم مجتمعا معقدا وبالتالى لم تكف الإجراءات التربوية البسيطة فى إكساب الفرد الخبرات الضرورية للعمل والحياة فى ذلك المجتمع، واحتاج الأمر إلى تعليم نظامى ومدرسى.

أ- أهداف التربية:

استهدفت التربية المصرية القديمة تنمية الأفراد تنمية ثقافية وتنمية مهنية. فلقد كان المجتمع المصرى مؤلفا من طبقات اجتماعية متدرجة هى الطبقة الحاكمة من الكهنة وملاك الأراضى ، وطبقة الأحرار الذين يقومون بالأعمال الحرفية ، وطبقة العبيد الذين يقومون بالخدمة فى البيوت. وذكر هردوت (١٩٦٦ ، ص٢٩٧) وجود سبع طبقات لاتختلف فى الواقع عما ذكرنا هى « طبقة الكهنة ، وطبقة المحاربين ، ورعاة البقر ، ورعاة الخنازير ، والتجار ، والمترجمين ، والملاحين». وكان لابد من إعداد الأطفال للقيام بالوظائف المتوقعة منهم فى ظل هذا النظام الطبقى . يقول بودج Budge (١٩٢٦ ، ص ص٩٢- ٩٣) : «لقد علم النبيل ابنه أن يحكم ويدير ممتلكات الأسرة ... وعلم أصحاب الحرف أبناءهم مهنهم ، وكان الكهنة والكتاب أحرص الطبقات على نقل مهنهم إلى أبنائهم » غير أن هذه الطبقية لم تمنع من انتقال الفرد من طبقة اجتماعية إلى طبقة اجتماعية أخرى ، وبخاصة إذا كان موهوبا أو تعلم تعليما جيدا أو تزوج من امرأة غنية ، وكانت التربية فى الدولة القديمة مسئولية الآباء بصفة عامة . ولقد أوجبت طبيعة الحياة والعمل فى مصر القديمة العناية بالمهن لبناء الأهرامات ، والقيام بتبعات الدفن ، والوفاء بحاجات الدول الأخرى من الأدوات والأسلحة والمعدات الصناعية . ويبدو من وصية «تعوف» لابنة نوع المهن

التى سادت فى الدولة القديمة . فلقد قارن «تعوف» بين المهن ليحبب إلى ابنه طلب العلم والارتقاء فى درجات السلم الاجتماعى . يقول «تعوف» Tauauf (نقلا عن بودج Budge ، ١٩٢٦ ، ص ص٤٠- ٤٣) : لقد فكرت فى الأعمال الجادة واستنتجت أن الكتب أفضل الأشياء ، ولذلك أرجو أن تصرف عقلك إلى الكتب» فالكاتب يستطيع الحصول على كل وظيفة فى القصر » ثم يقارن بين مهنة الكاتب وغيرها من المهن ليبين أفضلية مهنة الكتابة . فالمشتغل بالمعادن لايرسل فى بعثة دبلوماسية ، والحداد يظل يعمل أمام الفرن المشتعل وأصابعه كأقدام التمساح ، ورائحته أقذع من رائحة أمعاء السمك ، والناقش على المعادن يعمل كصاحب المحراث ، والبناء يظل معلقا على السقالة ويكون متعبا فى المساء، والحلاق يجوب المدينة بحثا عن العملاء ، والساقى والجنايني يجب أن يعملا يوميا وكل ما يفعلاه مجهد ، والعامل الزراعى لايغير ملابسه مطلقا ويداه ورجلاه تتشقق ، والمشتغل بالنسج أسوأ من امرأة ، ولصائد الأسماك أسوأ مهنة لأن عليه أن يعمل فى النهر بين التماسيح ولاشئ يقيه من عدوان التمساح ، فلاتوجد مهنة أفضل من مهنة الكاتب .

ب- أنواع التربية ومحتواها :

أوجبت التنمية الثقافية تعليم القراءة والكتابة وكانت الكتابة ثلاثة أنواع وكان على كل طفل أن يعرف الكتابة الشعبية التى تعرف بالكتابة الديموطقية. يقول بودج Budge (١٩٢٦ ، ص٣٩) « كانت قيمة القراءة والكتابة مرتفعة لدى جميع الطبقات فى مصر القديمة ، وبخاصة بين طبقات التجار والحرفيين ». وأوجبت الحياة المهنية تدريب الأطفال على الاشتغال بمهن آبائهم عن طريق نظام أشبه بنظام الصبينة، وأوجبت الحياة العامة معرفة المعارف المتعلقة بالمناسبات الدينية والاجتماعية ، ومراسم الدفن وأدعيته، والمواعظ والحكم المختلفة المرشدة للحياة فى مصر القديمة . فضلا عن الآداب العامة والدينية التى كانت تصاغ فى صورة قصص قصيرة أو وصايا وحكم مثل كتاب الموتى وتعاليم بتاح حتب وحكمه آنى Anii . ولقد أفرد بودج (١٩٢٦) فصلا كاملا للحديث عن الآداب القديمة للفراعنة . ومن هذه الآداب مواعظ نبى ، وأساطير الآلهة ، وكتب الأخلاق، وكتب السحر والرقى ،

وأنشودة أوزوريس ، ومولد حورس ، ومواعظ أمنمحات ، وقصة الأخوين وغيرها . وكانت هذه الآداب تقص على الأطفال للعمل بما توصى به. يقول سعد مرسى (١٩٩٢، ص١٠٧) : « خلف المصريون مخطوطات وكتب مدرسية اشتملت على حكايات خرافية وأخبار الرحلات وسير المشاهير من الرجال . وأشهر الكتب هى كتب الأمثال والمواعظ . وكان التلاميذ يدرسون الأغانى والأهازيج الدينية».

جـ- المؤسسات والتنظيمات التعليمية :

قسمت حياة الطفل فى مصر القديمة إلى مرحلتين هما مرحلة الطفولة من الميلاد حتى الرابعة ، ومرحلة الصبا من الرابعة حتى الرابعة عشر أو السادسة عشرة. وكان الأطفال يتعلمون فى سن الرابعة ويقومون بأدوارهم فى الرابعة عشرة. وكان الإعداد لمرحلة الطفولة من اختصاص الأم. ومعنى ذلك أن الأسرة قامت بدور كبير فى تعليم الناشئة ، وكانت الأسرة مؤسسة اجتماعية محترمة فى مصر القديمة . يقول بودج Budge (١٩٢٦ ، ص١٩) : « كان المصرى فى جميع عصوره محبا لبيئته وأسرته ، وكانت العلاقات بين الآباء والأبناء عاطفية جدا». وكان الأطفال يشاركون أباءهم فى أعمالهم ويتعلمون عن طريق الممارسة . وكان أبناء الملك يعلمون فى القصر ويختار الملك رفقاء اللعب والدراسة من أبناء طبقة الموظفين. ولقد ظهر فى مصر القديمة عدة أنواع من المدارس هى مدارس المعابد ومدارس القصر ومدارس الأقسام المختلفة للحكومة . فلقد حرص الكهنة على إنشاء مدارس المعابد لتعليم الكتابة ومايرتبط بها من فنون تخليدا لعلمهم ويذكر إرنان Ernan (١٩٢٦ ، ص ص١٨٥ ـ ١٨٦) أن رمسيس الثانى أنشأ معبدا لعبادة الاله آمون فى طيبة وألحق به مدرسة ، واكتشف رجال الآثار كثيرا من أوراق البردى فى مدينة منف تشتمل على كتابات الأطفال وتصويبات المعلمين . ويمكن تصور وجود مدرسة ملحقة بكل معبد استنادا إلى ماسبق . إن التنظيم المتقدم للحكومة يوجب افتراض وجود مدرسة تعلم الحكام الكتابة والعلاقات الدبلوماسية. وكان الملوك المصريون يفتخرون بقدرته على الكتابة. وتدل قصة «تعوف» على وجود مدرسة القصر ، لأنه صحب ابنه فى رحلة طويلة لكى يبلغ به إلى مدرسة القصر حيث يتعلم ويصبح كاتبا ، وبالتالى يتاح له الاشتغال

بوظيفة كبرى وكان لكل قسم من أقسام الحكومة مدرسة تعد الأطفال لممارسة أنشطة القسم . فلقد كان هناك مدرسة للكتب الملكية تحتوى على الكتب والوثائق، ومدرسة خاصة بالخزينة الملكية ، ومدرسة للفرسان ، الخ . ويذكر سعد مرسى أحمد (١٩٩٢، ص١١٠) «أن هناك نصوصا مصرية قديمة تشير إلى «الإصطبل الملكى للتربية ، ويرى البعض أن رئيس هذا الإصطبل كان المسئول الأول عن التربية ، ورأى آخر أنه كان مدرسة عسكرية التحق بها أبناء النبلاء ليتعلموا الكتابة والعلوم العسكرية » وكانت المعابد مراكز للتعليم العالى أو جامعات العالم القديم مثل جامعة هليوبوليس ، وجامعة أون . فلقد درس فيها الشباب الرياضيات التطبيقية والفلك والطبيعة والهندسة والمساحة . ودرس فى تلك الجامعات كثير من علماء الماضى مثل طاليس ، وصولون ، وأفلاطون . وكانت معابد الكرنك ، وإدفو ، ومنف، و تل العمارنة تقوم بوظائف الجامعات ودرس الشباب فيها مختلف العلوم الدينية والعلمانية.

د- طرق التعليم:

كان التعليم المصرى تعليما مهنيا بصفة عامة لأنه اشتمل على ثلاثة جوانب أساسية هى التدريب المهنى والتدريب الخلقى وتعلم الكتابة . وكانت هذه الأنواع الثلاثة مرتبطة وتنتقل من الآباء إلى الأبناء من خلال نظام شبيه بنظام الصبينة . فالطفل يتعلم كتابة مهنية من خلال نسخه للخطابات والسجلات والعقود والحسابات الخاصة بمهنته . وكان يقلد أباه فى هذا . يقول سعد مرسى أحمد (١٩٩٢، ص ١٠٩): «غلب على تعليم القراءة والكتابة استخدام الأشكال التقليدية فى التدريس وأهمها التقليد والتكرار ... أما فى تعلم المهن فقد اتبع نظام التلمذة الصناعية ... وأما الأدب فكان يعلم بطريقة الحفظ والاستظهار ، وخاصة الأدب الدينى . وأما مناقشة النصوص الدينية وشرحها فكان حقا قاصرا على كبار الكهنة... وقد أدى هذا إلى نوع من الثبات فى التقاليد المصرية القديمة والحياة الاجتماعية».

٤- التربية العبرية القديمة:

ينتسب العبريون إلى يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام . وكان لتيراح

والد إبراهيم ولدان آخران هما ناهور وحران (سفر الخلق ، الإصحاح ١١) وكان حران والد طالوت ، ومات قبل أبيه فى مدينة أور قبل رحيلهم إلى أرض كنعان . ولقد طلب الرب من إبراهيم أن يخرج من أرضه وعشيرته ، ويتوجه إلى أرض كنعان (سفر الخلق ، الإصحاح ١٢) فاستجاب إبراهيم لأمر ربه وأخذ معه ابن أخيه لوطا وزوجته سارة وممتلكاته وعبيده قاصدا أرض كنعان ، ولما أصاب الجدب أرض كنعان اتجه إبراهيم إلى مصر وأقام فيها وأحسن الفرعون معاملته من أجل زوجته سارة التى فتن بها . ولكن فرعون مصر صادف مشكلات كثيرة بسبب حيازته لسارة التى قدمها إبراهيم باعتبارها أخته خشية من إيقاع الفرعون به. وحينما علم الفرعون أن سارة زوجة إبراهيم طلب إليه أن يغادر مصر ، ويأخذ معه الغنم والثيران والحمير والجمال والخدم وغيرها مما أعطاه الفرعون لإبراهيم (سفر الخلق ، الإصحاح ١٢) غادر إبراهيم مصر ومعه ابن أخيه قاصدا أرض كنعان . وحينما ضاقت الأرض بنسل إبراهيم ولوط أمر إبراهيم لوطا بمفارقته فإتجه لوط صوب الأردن ، واستقر إبراهيم فى أرض كنعان (سفر الخلق ، الإصحاح ١٣) . ويذكر الإصحاح الخامس عشر أن الرب تجلى لإبراهيم وأخبره أن نسله سوف يكثر ويضربون فى الأرض أربعمائة سنة ثم يعودون إلى أرض كنعان، وتعهد الرب أن يعطى نسله الأرض من نهر النيل إلى نهر الفرات (سفر الخلق، الإصحاح ١٥) ولقد كثر بنو إسرائيل وزاد عددهم فى عهد يعقوب . ويذكر الإصحاح السابع والثلاثون من سفر الخلق خبر سكنى يعقوب فى أرض كنعان وماكان بين ابنه يوسف وأخوته وبيع يوسف لقافلة متجهة إلى مصر ، وبيع القافلة يوسف لرئيس شرطة فرعون (سفر الخلق ، الإصحاح ٣٧) ويقص الإصحاح الحادى عشر إصحاحا قصة يوسف فى مصر ، وشغف امراة رئيس الشرطة به ، وسجنه ، وتفسيره لرؤيا خادمى الفرعون ، ثم حظوة يوسف عند الفرعون الذى جعله قيما على أرض مصر وغلالها ، ثم ذهاب إسرائيل (يعقوب) إلى مصر ووفاته فيها، وتوصيته بنقل جثمانه إلى أرض كنعان (سفر الخلق ، الإصحاحات ٣٩ـ٥٠) ويحكى سفر الخروج ماكان من نمو بنى إسرائيل وتكاثرهم وخشية فرعون مصر من عواقب زيادة عددهم ، وتسخيره لبنى إسرائيل فى أعمال

البناء وأمر جنوده بقتل الأطفال الذكور من بنى إسرائيل (سفر الخروج ، الإصحاح١) وتذكر الإصحاحات من رقم ٢ إلى ١٤ قصة موسى منذ ولادته حتى خروج بنى إسرائيل من مصر بقيادته (سفر الخروج ، الإصحاحات ٢ـ ١٤). وتحكى الإصحاحات من ١٥ـ ٣١ من سفر الخروج ما حل ببنى إسرائيل فى سيناء ، وتذمر اليهود على موسى وأخيه هارون ، ورغبتهم فى البقاء فى مصر (سفر الخروج ، الإصحاح١٥) وتحكى الإصحاحات ١٩ ـ ٣١ تجلى الرب لموسى فى سيناء ، وتحميله التشريعات الدينية والخلقية التى تدور حول عبادة الله الواحد ، وعدم الحلف باطلا ، وتحريم العمل يوم السبت ، وإكرام الوالدين ، والنهى عن القتل والسرقة والزنا وشهادة الزور واشتهاء ممتلكات القريب ، وتجنب عبادة الأصنام ، ووجوب عتق العبد العبرانى بعد ست سنوات من الخدمة ، والعدل بين الزوجات وعدم ظلم الغرباء والأرامل والأيتام ، وعدم تحريف الشهادة أو كتمها ، وعدم الاجحاف فى القضاء ، وعدم أخذ الرشوة ، وفرض القصاص (العين بالعين والسن بالسن واليد باليد والرجل بالرجل)(سفر الخروج ، الإصحاحات ١٩ـ ٣١) ويؤكد سفر التيه فى جميع اصحاحاته ضرورة الالتزام بوصايا الرب ، وعبادته وحظر الشرك ويعد بنى إسرائيل بالنصر إن التزموا بالشريعة والهلاك إذا انحرفوا عنها. ويذكر سفر القضاه حروب بنى إسرائيل مع جيرانهم وهزيمتهم نتيجة لانحرافاتهم الدينية والخلقية والاجتماعية فتسلط عليهم الآراميون والعماليق والفلسطينيون . ولقد نشبت حرب ضروس بين الإسرائيليين والفلسطينيين فدارت الدائرة على الإسرائيليين وقتل منهم أربعة آلاف شخص (سفر صموئيل ، الإصحاح الرابع) ويحكى سفر الملوك قصة ملوك بنى إسرائيل من طالوت إلى سليمان . وتحكى الإصحاحات من الرابع إلى العاشر من سفر الملوك ماكان عليه سليمان من قوة وحكمة وذكاء وقدرة على مخاطبة الطيور والحيوانات وبناء الهيكل وزيارة ملكة سبأ ، وقضاء ملك بابل وآشور على أورشليم وهدم الهيكل (سفر الملوك ، الإصحاحات ٤ـ ١٠) .

ويذكر روبز Rops (١٩٥٧ ، ص ٥٢) أن عصر الآباء من إبراهيم ويعقوب ويوسف وإسحاق كان الموجه الأساسى لتاريخ اليهود كله «فالاعتقاد فى أنهم شعب

مختار كـان الدافع الأساسى لكـل أعمالهم عبر الـعصور»، ولقد استـطاع موسى أن يفرض تشريعه وتنظـيمه على القبائل اليهودية ، وحرص على تـقوية أواصر التضامن الاجتماعى بين أبنائها حول مثله الدينية. يقول روبز Rops (١٩٥٧ ، ص٩٢): «كان موسى أول قائـد قومى ينشأ مـن الشعب ويعبر فـى أفعاله عن أكثـر الأغراض سرية لهذا الشعب . لقـد أبدى للعيان أسس القومية والإحساس بالـنظام الجمعى ، والحزم الإدارى ، ومحبة الـوطن ، والاعتقاد الذى أعان علـى تنمية الوعى بـالذات فى إطار العقل الجمعى » وكان أساس الدولة اليهودية الـتحالف بين الشعب المختار وجاهوفا إله إسرائـيل ، فالاعتقاد الـعميق فى الرب أعـان على تقويـة الوحدة الوطنيـة ، يقول وايـلـدز Wilds (١٩٤٤ ، ص٦٣) «لم يكن موسـى أعظم مخلص للعبـرانيين من العبـودية فقط ، وإنما كـان مشرعا لهـم أيضا . إننا نـعتبره أحد المـفكرين والمشـرعين القدماء ، وتحت تأثيره وتأثير غيره من أنبياء العبرانيين استطاع العبرانيون تنمية مثلهم القومية والدينية والاجـتماعية». والمتأمل فى الوصايا العشر يجد أن أربـعة منها تتعلق بواجبات الأنسان نحو الرب (الأقرار له بالـوحدانية ، وعدم الشرك به، وعدم الحلف كذبا باسمه ، وعبادته يوم السبت) وستة تـتعلق بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان (أكرم أباك وأمك ، لاتزن ، لاتسرق ، لاتقتل ، لاتشهد زورا ، لاتشته بيت جارك أو زوجته أو خادمـه أو خادمتـه أو حماره أو أى شـئ لجارك) وقانـون موسى يـفسر كـل شئ ويبرره ، وأضاف مـوسى إلى القانون بعـضا من الوصايا المـستمدة من خبرتـه بالحياة مثل « من يضرب أباه أو أمه يعاقب بالموت ، ومن يسرق يعاقب بالموت ، وإذا تسبب أحد فى سقوط حامل يوقع زوجها الغرامة، وإذا حفر شخص حفرة ولم يغطها ووقع فيهـا حمار يلـزم بدفع التعـويض (سفر الخـروج ، الإصحاح ٢١) ويؤكـد المؤرخون والمهتمون بدراسـة الأديان أن التوراة والتلمود من أهم مصادر الـفكر اليهودى ، وأن اليهود أعادوا كتابة التوراة على النحو الـذى هى عليه الآن فى منفى بابل مابين ٦٨٥ و ٥٣٨ ق.م. ويـذهـب ظـفـر الإسـلام خـان (١٩٨٩ ، ص ص ١١ـ ١٢) إلـى أن التلـمود ينقـسم إلى جزئـين هما«المـشناه» وهو الأصـل أو المتن وجمارا وهـو شرح للمتن. والمشناه أول لائحة قانونية وضعهـا اليهود لأنفسهم بعد التوراه . أما «جمارا»

فائنان : جمارا أورشليم وجمارا بابل . وجمارا أورشليم سجل للمناقشات التى أجراها حاخامات فلسطين لشرح المشناه ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠ م. وجمارا بابل سجل للمناقشات حول تعاليم المشناه دونها علماء بابل اليهود ، وانتهوا من جمعه سنة ٥٠٠ م تقريبا . وبالرغم من شك ظفر الإسلام خان (١٩٨٩ ، ص٢٤) فإنه يميل إلى الاتفاق مع بعض الثقات اليهود فى أن التلمود أعان اليهود على مواصلة الحياة بالانغلاق والسيطرة على المجتمع تمهيدا لإقامة امبراطورية عالمية ، وتبنى اليهود التلمود لأنه زودهم بشئ شعروا بحاجتهم إليه لأنه أشبع أمانيهم الدينية، وإحساسهم القومى.

وفيما يلى نناقش الاتجاهات والممارسات التعليمية لدى العبريين فى العصور القديمة والوسطى.

الاتجاهات والممارسات التربوية لدى العبريين:

استطاع العبريون طوال تاريخهم أن ينمو مثلا واتجاهات تختلف عن مثل واتجاهات جميع الشعوب الشرقية التى عنيت بالمحافظة على الأوضاع القائمة ، والحد من حرية الفرد ، وإيثار القيم الاجتماعية على القيم الفردية . يقول عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٣٢) : « إن للتربية اليهودية طابعا مختلفا بعض الاختلاف عن غيرها من أنواع التربية الشرقية . فالذى يميز التربية الشرقية عامة هو روح المحافظة والحد من حرية الفرد والحيلولة دون نموه الشخصى. أما اليهود فقد كان المظهر الدينى والخلقى هو الغالب عندهم ، وكان لتصورهم للألوهية المشخصة ، ولاعتقادهم بالصلة الشخصية الحميمة مع الإله والمسئولية الفردية تجاهه ، أثر فى نمو الشخصية الفردية».

أ- أهداف التربية:

استهدفت التربية العبرية إعداد اليهود للمصير الذى ينتظرهم من امتلاك أرض كنعان والحصول على الأراضى الممتدة من النيل إلى الفرات . وكان هذا الإحساس بالمصير القومى من أقوى المشاعر اليهودية على امتداد تاريخهم . وتمثل الهدف

التربوى منذ عهد موسى فى إعداد مواطنين مخلصين ومطيعين للرب وتنمية الولاء القومى ، وبالتالى تأكيد الانسجام بين الحياة المدنية لليهود والمستقبل العظيم الذى ينتظره شعب الله المختار . يقول روبز Rops (١٩٥٧ ، ص٢٧٠) : « كانت اليهودية دولة مؤلفة من تحالف دقيق بين الجنس والدين ، والتشريع المدنى والدينى فى قانون واحد ، وممارسة سلطة واحدة كانت فى يد رجال الدين » ويضيف (ص ٢٧٧) «وعلى هذا الأساس قام الحب المتبادل بين الرب والشعب . فمن يعارض إسرائيل يعارض الرب ذاته ، والشعب المختار يجب أن يكون مقدسا لأن الرب مقدس». وكانت المراسيم الدينية والعلاقات الاجتماعية والعادات المنزلية التى جاء بها موسى وأضاف إليها من خبرته ، وأعان الكهنة على فرضها وتطبيقها ، مادة للتربية وبالتالى أصبحت التربية تدريبا على تلك العادات والمراسيم . فضلا عن تزويد الأبناء بالخبرات والمهارات الضرورية لممارسة مهن الرعى والزراعة وغيرها من الأعمال المهنية التى اختلفت باختلاف مستوياتهم الحضارية.

ب- أنواع التربية:

أهتم العبريون بالتربية الدينية والتربية الخلقية والتربية المدنية أو الاجتماعية ، ولم يكن ممكنا الفصل بين هذه الأنواع من التربية من الناحية العملية لأن الدين كان مرادفا للوطنية ، وكان الولاء لإله إسرائيل ولاء للأمة ، وكان تدريب الأطفال على طاعة الرب تدريبا للمحافظة على الأمة اليهودية. وكان هذا تدريبا خلقيا لأن جميع العادات والعلاقات كانت موجهة لتحقيق السعادة العامة . يقول روبز Rops (١٩٥٧ ، ص ٢٧٦) : « لم يشك أحد من اليهود فى أنهم شعب الله المختار لأن أنبياءهم ادعوا هذا . وكان هذا اليقين مدعاة للمحافظة على الأمة اليهودية وإعانتها على البقاء». ويضيف (ص٢٨٤) « لقد ارتبطت الديانة اليهودية بالأخلاق منذ إبراهيم وموسى .... ولكى يرضى اليهودى الرب يجب أن يكون خيرا ، مستقيما ، عادلا ، عفيفا ، متواضعا ، طيبا ، عطوفا ، محسنا». ويقول عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٢٩) : «الإنسان الكامل فى نظر العبريين هو التقى الفاضل» ولقد اعتبر العبريون حصول الفرد على التعليم ضروريا لبقاء الأمة لأن الشخص الجاهل

فى رأيهم لايكون متدينا والشخص غير المتدين مقوض للمدنية اليهودية . ومن ثم كان العبريون حريصين على تعليم الجميع دون تمييز بينهم لأنهم متساوون أمام الرب. ومما ينبغى ذكره أن هذا التعليم كان مقصورا على التعليم الدينى والخلقى والمدنى. يقول عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٣٠) «وعلى أية حال كانت التربية الفكرية لدى قدماء العبريين شيئا ثانويا ملحقا . أما العمل الرئيسى فى نظرهم فهو التعليم الخلقى والدينى والتربية القومية أيضاً». ولم يعن اليهود بالتربية الفكرية إلا فى العصور الوسطى بعد ظهور النصرانية وانتشارها للرقى بمستوى العلم والثقافة اليهودية . وفى العصور القديمة والوسطى اهتم العبريون بالتدريب المنزلى للنساء والتدريب المهنى للرجال فكانت النساء تعلم البنات جميع الواجبات المنزلية. يقول عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٣٠) «أما الفتيات فكن يتعلمن الغزل والحياكة وتهيئة الطعام ورعاية الشئون المنزلية والغناء والرقص أيضا». وكان من واجبات الآباء أن يعلموا أبناءهم مهنة . يقول وايلدز Wilds (١٩٤٤،ص٧٠) : «كان من واجبات الآباء أن يعلموا أبناءهم مهنة فمن لايعلم ابنه مهنة يدفعه لأن يكون لصا . لقد أجلوا العمل اليدوى وكان علماؤهم حرفيين أيضا».

جـ- محتوى التربية:

اشتمل التعليم اليهودى على التاريخ القومى لليهود ومعاملة الرب لهم والقانون اليهودى والمزامير والأمثال والحكم. ودارت معظم تربيتهم على تعاليم التوراة والتلمود . ولقد إحتلت دراسة التلمود مكانة لاتقل عن مكانة التوراة. يقول محرر دائرة المعارف اليهودية (نقلا عن ظفر الإسلام خان ، ١٩٨٩ ، ص٥٤) : «كرست المدارس اليهودية جهودها كليا لدراسة التلمود . حتى أن كلمة «الدراسة» أصبحت مترادفة لكلمة «دراسة التلمود». ويضيف (ص٥٥) ويمكن استنتاج أهمية التلمود لدى اليهود من عقيدة لهم تقول : «يجب على كل شخص (يهودى) أن يقسم دراسته إلى ثلاثة حصص : يكرس الثلث الأول لدراسة القانون المكتوب (التوراة) والثلث الثانى لدراسة المشناه ، والثلث الأخير لدراسة الجمار .... والوقت الذى تستغرقه دراسة التلمود على هذا النحو هو سبع ساعات يوميا لسبعة أعوام». ويقول

عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٣١) : «وكانت التوراة ولاشك الكتاب الأول الذى يوضع بين أيدى الأطفال ، كما كان المعلم يمزج دوما دروس القراءة بدروس ونصائح أخلاقية». ويقول وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص٧١) : « تعلم الأولاد القراءة والكتابة ومبادئ الحساب . وكان التلمود هو الكتاب الأساسى للقراءة » وكانت التوراة هى أساس تعليم العلماء اليهود ، إذ كان عليهم التعمق فيها للإجابة عن مختلف المشكلات الدينية والمدنية. وبالاضافة إلى ذلك اشتملت التربية اليهودية على الغناء والرقص والعزف على الآلات الموسيقية يقول وايلدز (ص٧١) : «فالموسيقى كانت جزءا من تربية الشعب اليهودى فالمزامير كانت تؤلف أغانيهم ، ودربوا على استخدام أكثر من أداة موسيقية وعلمت البنات الرقص».

د- المؤسسات والتنظيمات التعليمية:

كانت الأسرة هى المؤسسة التعليمية الأولى فى العصور القديمة . وكان الأب والأم يشتركان فى تعليم الأبناء . يقول عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٢٩): «كانت التربية لدى العبريين فى العصور الأولى تربية أسرية منزلية ، فلا تقع لديهم ، قبل ظهور المسيحية ، على أى أثر لمدارس عامة للصغار» ثم ظهرت المدارس بعد عام ٦٤ ميلادية وألحقت هذه المدارس بالمعابد فى معظم القرى وأصبحت ضرورية فى كل مكان ويذكر عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٣١) أن الطفل اليهودى كان يدخل المدرسة فى سن السادسة ويتعلم القراءة والكتابة وشيئا من التاريخ الطبيعى وكثيرا من الهندسة والفلك . ويذكر وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ٧٣) أن التعليم الابتدائى فى المدارس نظم على ثلاثة مستويات من سن ٦ـ ١٠ ، ومن سن ١٠ ـ ١٥، ومن سن ١٥ فما فوق . وكان المستويان الأول والثانى إجباريين بالنسبة للذكور. وفى المستوى الأول كان التلاميذ يدرسون الأجزاء الأولى من التلمود ، وفى المستويات الأعلى يدرسون الأجزاء الباقية منه. ولقد وجدت مدارس أعلى عرفت بمدارس الأنبياء لإعداد الدعاة وكان الطلبة يدرسون التفسير الدينى للقانون والشعر المقدس ومبادئ التقديس والصلاح وأساليب الدعوة والارشاد . وأنشئت مدارس

عليا لـلكتاب وكانت تـقام فى بيوت الكـتاب المعروفين وكـانت مخصصة لـلدراسة التـحليـلية للـتوراة والتـلمود ثـم درست العلـوم العلـمانيـة كالرياضـيات والفـلك والجغرافيا.

هـ- طرق التعليم:

لم تختلف طرق التربية العبرية عن الطرق الـتى أتبعت فى التربيات الشرقية بصفة عامة وبـخاصة طرق الحفظ والاسـتظهار على المـستوى الأولى والمحاضرة والمـناظرة على المستويات الأعلى مـن التعليم . وكان المعلمون حريصين علـى تعلم تلاميذهم فهم يعـتمدون على الاعادة والتكـرار حتى يفهم التـلاميذ دروسهم ويستظـهرونها . يقول عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص٣١) : كان المعلـم «يعنى عناية خاصة باللفظ الصحـيح ويكثر مـن الشرح وقد يعيـد شرحه أربعمـائه مرة إن اقتضـى الأمر» وكان العقاب الـبدنى مستخدمـا مع الأطفال الكبار باعـتباره وسيلة منـاسبة للتحكـم فيهم ولكن هـذه الصرامة كـانت تصاحـب بالحنو والـشفقة . يـقول عبد الـله عبد الـدايم (١٩٧٨ ، ص ٣١) : كان النـظام لينا ولانرى فـيه الغلظة والـقساوة التى كانـت قبل العـصر المسـيحى . ومما يـقوله الـتلمـود «عاقب الأطـفال بإحدى يـديك ، وداعبـهم بكلتيهما».

المراجع

أولا: المراجع العربية:

١ـ ألبان ويد جرى : التاريخ وكيف يفسرونه (ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٢.

٢ـ ج.ف. هيجل : محاضرات فى فلسفة التاريخ ، جـ١ ، (ترجمة إمام عبد الفتاح إمام) دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨١.

٣ـ جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة (ترجمة أحمد فخرى) ، الانجلو، القاهرة ١٩٦٩ .

٤ـ سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٢.

٥ـ ظفر الإسلام خان : التلمود (تاريخه وتعاليمه) ط٧، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٩.

٦ـ عبد الله عبد الدايم : التربية عبر العصور ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٧٣.

٧ـ محمد إسماعيل الندوى : الهند القديمة : حضاراتها ودياناتها ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠.

٨ـ هردوت : هردوت يتحدث عن مصر (ترجمة محمد صقر خفاجة ، أحمد بدوى) ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٦.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

9- Budge , E. , The Dwellers on the Nile , London : The Religious Tract Society , 1926.

10- Ernan , A. The Literature of Ancient Egyptians , London : Methuen & Co., 1927.

11- Finegan , J. , Archeology of World Religions, Princton univ. press, 1952.

12- Kosambi , D. The culture of Ancient India in Historical Outline , London : Routledge & Kegan Paul , 1970.

13- Rops , D. Israel and the Ancient world , London : Eyre & Spottiswoode , 1957.

14- The Holy Bible (Edited by Gay , H. & Metzger , B. , New York : Oxford univ. Press, 1971.